

## أقول نجم بعث الشام

### بقلم الياس بجاني

#### مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

هل تغيرت التحالفات المصلحية الهدامة في منطقة الشرق الأوسط وتحديداً بين نظام البعث السوري وجارته إسرائيل؟ وهل تغيرت قواعد اللعبة السياسية القدرة التي كان لبنان الكيان والإنسان ولا يزال ضحيتها منذ سنة ١٩٧٥؟ السؤال هذا يقودنا تلقائياً إلى سؤال آخر هو: هل انتهى دور البعث السوري الستاليني المجرم بعد أن أدى ما أداه من خدمات قدرة ودموية لملوك وأمراء ما يسمى زوراً الدول العربية، إضافة إلى إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا ومعظم الدول الأوروبية، خدمات قُدمت على حساب أمن وحرية وثروات وحقوق شعبه وشعوب الدول المجاورة مقابل بقائه في الحكم؟

التساؤل هذا يطرح نفسه اليوم بقوة في أعقاب الغارة الإسرائيلية "السياسة" -الرسالة" التي نفذها الطيران الإسرائيلي داخل العمق السوري يوم الأحد (٢٠٠٣/١٠/٥) مستهدفاً معسكراً مهجوراً كان يستعمل لتدريب منظمات أصولية - إرهابية. الغارة وهي الأولى بنوعيتها منذ العام ١٩٨٥ لم تكن ذات أهمية عسكرية، وإنما جاءت كرسالة تحذير سياسية للنظام البعثي السوري القابض على حكم سوريا منذ ٣٠ سنة بالحديد والنار، مع أنه حكم لا يمثل إلا شريحة واحدة فقط لا يتعدى عدد أفرادها ال ٩% من مجمل عدد شرائح تلك البلاد المتعددة الحضارات والإثنيات والأديان والبالغ عدد سكانها ١٧ مليوناً. علماً أن الحكم البعثي "الأسدي" هذا تمكن من الاستمرار في سدة السلطة السورية عن طريق القهر والقتل والسجن والتهجير والإرهاب وانتهاك كافة الحقوق بعد أن نجح بخنق الحريات العامة وإسكات المعارضين إما قتلًا أو تهجيرًا أو ترهيبًا.

كل الانتهاكات التي ارتكبتها هذا النظام كانت بمباركة وتمويل حماته الإقليميين والدوليين، أو أقله بغض الطرف الكلي من قبلهم، وفي مقدمهم كل من إسرائيل والولايات المتحدة، إضافة إلى أمراء وملوك الخليج العربي، وخصوصاً السعودية التي مدته وما زالت تمدّه بالمال. لقد قدم البعث السوري خدمات نارية وقمعية وإرهابية وكتبية شعبية مختلفة لكل من هؤلاء الحماة مقابل بقائه في الحكم رغماً عن إرادة الشعب السوري، حتى أن جريمة قتله ل ٢٥ ألفاً من أهله في حماة وحمص في أقل من أسبوع لم تحرك المجتمع الدولي ضده.

وفي نفس سياق الخدمات، والخدمات المتبادلة سُمِحَ لهذا النظام القمعي البعثي أميركياً وإسرائيلياً وعربياً ضمن خطوط حمراء باحتلال لبنان وقمع أهله، ومن ثم تحويله إلى واحة آمنة للإرهاب والأصولية والوهابية والمافياوية بكافة تشعباتها وألوانها المذهبية، فأمسى لبنان في ظل الاحتلال البعثي مدرسة لتصدير الإرهابيين والأصوليين إلى كافة بلاد العالم.

لقد صمت العالم الحر طويلاً عن ممارسات هذا النظام التي استهدفت اللبنانيين بلقمة عيشهم وأمنهم وحريتهم وأرزاقهم ومعتقداتهم الدينية، وتوهم حماته بمن فيهم إسرائيل أنهم آمنون، إلا أن السحر انقلب على السحرة بعد أن فقد الجميع السيطرة على أعمال المنظمات الإرهابية التي تمكنت من نقل إرهابه إلى داخل المجتمع العربي، وكانت قمة هذا الإرهاب ما شهدته الولايات المتحدة يوم ١١ أيلول سنة ٢٠٠١.

لقد فقد نظام بعث الشام علة وجوده ولم يعد قادراً على تقديم الخدمات الإجرامية التي طالما أطلت بعمره وبرزت استمراره، وهو نفسه حالياً تحول لمشكلة كبيرة وخطرة تواجه حماته الذين قرروا على ما يبدو، وأخيراً التخلص منه واستبداله بنظام آخر يؤمن مصالحهم ولا يجرهم أمام شعوبهم بعد أن فشـلوا في ترقيعه أو تجميله.

إن الغارة الإسرائيلية الأخيرة أتت بمثابة الإنذار الأخير لحكام الشام، فيما تنفيذ ما هو مطلوب منهم بالكامل طبقاً لقائمة المطالب التي سلمهم إياها وزير خارجية الولايات المتحدة كولن بول مؤخراً، أو مواجهة المصير الصدامي. من هنا كان لزاماً على إسرائيل وأميركا ودول الخليج العربي وباقي رعاة وحماة نظام بعث الشام أن يغيروا قواعد اللعبة ويتخطوا الخطوط الحمراء التي دفع ثمنها الشعب اللبناني بشكل رئيسي ومعه أيضاً بنسب أقل الشعبين السوري والفلسطيني. أن النظام البعثي بظل حكم الأسد الابن أصبح خارج عصره، وحملاً ثقيلاً على كل القوى التي حتمته، وما زالت، كما إنه عاجز عن تقديم أي نوع من الخدمات التي كانت علة ومبرر وجوده، وبالتالي بدأت رحلته الحتمية نحو الهاوية، ولن تنجده إلا معجزة في زمن لا يعرف المعجزات. غارة الأحد "الرسالة والتحذير" أصابت حكام الشام ودماهم في لبنان بحالة هستيرية بدت واضحة من خلال تصريحاتهم المتناقضة والصبيانية الاستجدائية.

إنه ومع قرب أفول نجم بعث الشام بات لزاماً على أحرار لبنان السيايين من كافة شرائحه ال ١٩ أن يثبتوا للقوى الدولية والإقليمية التي كانت تحمي نظام بعث الشام حتى اليوم أنهم جادون في مسعاهم لتحرير بلدهم من الدكتاتورية، وقادرون أيضاً على حكمه طبقاً لشرعة حقوق الإنسان بمفهومها الديمقراطي السلمي الحضاري. إنها فرصة لن تتكرر على المؤمنين بلبنان الكيان والهوية والسيادة والحرية والتعايش أن يتلقفوها ويتعاملوا معها بوطنية وشفافية وتفاني مغلبين مصلحة الإنسان اللبناني على ما عداها من مصالح. يبقى أن عواء ونباح صنوج البعث في لبنان لن يحول دون قدوم رياح التحرير، بل على العكس سيعجل في قدومها، ومن عند أذنان صاغيتان فليسمع.